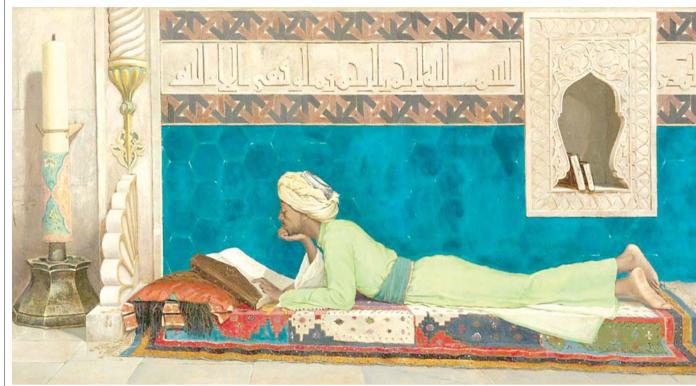
المخطوطات لبنة أساسية في بناء الحضارة الحديثة

«المخطوطات والتراث العربي» كتاب يجمع الأدب بالعلم



للمخطوطات أهميتها الكبيرة من نواح مختلفة سـواء التاريخية أو العلمية أو الأدبية أو الحضارية والتراثية، لكن ليست كل المخطوطات صالحة في مضمونها لكل زمان ومكان، فهي متفاوتة القيمة، لذا فإن التعامل مع المخطوطات لا يجب أن يتوقف في حدود التعامل المعرفي والثقافي البحت،

مصطفى عبدالته

🥊 "المخطوطة" مفردة ذات سحر خاص، ما إن تذكر حتى يشعر المرء بأنه قد ركب بساطا سحربا وانطلق به إلى زمن الحضارة العربية في أوج ازدهارها وعظمتها، في العصر الأموي، والعباسي، والفاطمي.

وفى الحقيقة فإن الأمر لا يقتصر على الحضارة العربية فحسب، لأن الحضارات الأخرى كلها أسهمت في صنع المخطوطات بلغاتها المختلفة، فالكتاسة فعل إنساني ملازم

للنشير منذ مارسوا فعلها قبل سيعة آلاف عام.

وقد وصل إلينا من المخطوطات ما اتخذ شكل ورقــة البــردي، أو الحجر، أو ألواح الطين المحروق، أو جلد الماعن، لكن المخطوطة في أشكالها كافة سافرت عبر حاملـة نتفا من أو أخبار أو حتى طرائف مثلت أهمية كبيرة لدارسي علوم تطور الإنسان.

المخطوطات والفهارس

جاء تراثنا العربى المخطوط لبنة أساسية في بناء الحضارة الحديثة، وحلقة ذهبية في سلسلة الإبداعات الإنسانية، غنتي بنفائسه، هذه النفاسة التي تستمد مقوماتها، إما من مضمون المخطوطة ومحتواها العلمي، وإما يسبب قدمها وندرتها، وإما لأنها مكتوبة بخط مؤلفها، أو أحد مشاهير العلماء أو الخطاطين، ومع ذلك يخطئ من يظن أن هذا التراث كله صالح للنشر؛ ففيه الغث والسمين، ولذلك بزغ علم المخطوطات، النذي وضنع أصنولا للعلمناء وأهل

> الاختصاص في كيفية التنقيب داخل المخطوطات، واستخراج كنوزها، ومن ثم نشرها على الناس لينتفعوا بها، وليعمق انتماءهم لهذا التراث الذي يجمع الأمة، ويشكل ضميرها ويصوغ وجدانها.

ويشير الدكتور عبدالستار الحلوجي، أستاذ المكتسات والمعلومات بكلية الآداب تحامعة القاهرة، في كتابه "المخطوطات والتراث العربي"، الصسادر عن الدار

بل هناك زوايا مختلفة للتعامل مع المخطوطة شكلا ومضَّمونا.

المصرية اللبنانية بالقاهرة، إلى أن

تحقيق النصوص المخطوطة ضرورة

يفرضها فقدان النسخ الأصلية التى

كتبها المؤلفون، كما يفرضها تعدد

نسخ الكتاب الواحد، وتفاوتها

الشعديد في درجة الدقة والاهتمام

والتوثيق وتواريخ النسخ والملامح

المادية "كالخط والورق والزخرفة

نسخة قرئت عليه، فلا محال للتحقيق،

وكل ما يمكن عمله هو شرح النص أو

التعليق أو التحشية عليه.

وحين توجد نسخة المؤلف، أو

ولإحصاء

المخطوطات، أوراقا

أو كتبا، كان لا بد من

ظهـور "الفهرسـة"،

وهيى كلمية فارسية

تم تعريبها؛ ويعرف

العربية "الفهرس" بأنه

الكتب. وهناك أنواع من

الفهارس، كفهرس المكتبة،

وفهرس الكتاب، وفهرس

الأعلام، وفهرس الأماكن، وفهرس

ويقول الحلوجي "إن ابن النديم

كتاب عن غيره، وإن اتفق معه في

العنوان، وتميز طبعة للكتاب عنَّ

طبعة أخرى من الكتاب نفسه للمؤلف

نفسه، أما فهرس الكتاب فهو قائمة

محتوياته، وفهرس الأعلام أو الأماكن

أصحاب المعاجم

نص على ذلك صراحة في مقدمته.

وضع الدكتور عبدالستار الحلوجي كتابه هندا في مقدمة وجزأين، مُلقيا الضوء بأسطوب أدبى راق، وتناول علمـي محكم، علىٰ عالم المحطوطات والفهارس، وارتباطهما بالتراث، ملفتا نظر الكثيرين منا، من غير ذوي الاختصاص، إلى أن الفهارس والببليوجرافيات، وإن دخلتا سويا تحت مظلة الأعمال الببليوجرافية، إلا أن لكل منهما وظيفتُ المختلفَة، فالفهرس يحصي المقتنيات الموجودة في مكتبة ماً، أما الببليوجرافيا فإنها تحصي المؤلفات في موضوع معين، أو التي كتبها شــخص معين، بغض النظر عن وجودها في المكتبة أو عدم وجودها.

وهو يشير إلى أن وظيفة الفهرس التعريف بمقتنيات مكتبة من المكتبات، أما القوائـم الببليوجرافية فمجالها أوسع، ووظيفتها حصر الإنتاج الفكرى والتعريف به، بصرف النظر عن الأماكن التي يوجد بها.

"ثبت" كلمة عربية أصيلة، تؤدي معنى "فهرست" الكلمة المعربة عن الفارسية، لكنها غير مستخدمة في الإنتاج الفكري للمكتبيين العرب، وغير مألوفة عند جمهور المستفيدين من المكتبات.

ويدفع بنا الحلوجي نحو قضية مهمسة أخرى تتعلىق بحيويسة اللغة العربية، فيقول "أنا من المؤمنين بثراء اللغة العربية، وقدرتها التعبيرية الفائقة، ومن المتحمسين لاستخدام الألفاظ العربية بديلًا عن الألفاظ الأعجمية، ولكننى علىٰ قناعة

تامـة بـأن اللغة وسيلة اتصال بين الناس، ولا قيمــة لمصطلح صحيح إذا لم يوصل المعنى المراد منه بدقة لمن يتلقاه، وكم من الألفاظ الصحيحة المسجلة في بطون المعاجم العربية ماتت لأنها لم تعد متداولة على الألسنة، وكم مـن الألفاظ

أو القوافي هو الكشياف الذي تسيرد فيه أستماء الأشخاص أو الأماكن الـواردة في الكتاب بترتيب هجائي ييسر الوصول إليها".

و"فهرست أبن النديم" عمل ببليوجرافي بأدق معاني الكلمة لأنه يحصى ألكتب التى ألقت باللغة العربية أو ترجمت إليها في مختلف فروع المعرفة حتى سينة 377 هـ، كما

التأقلم مع العصر

يشير الحلوجي إلى أن كلمة ألف كتابا أسماه 'الفهرست' منذ أكثر من ألف عام، وكلمة 'الفهرس' في كل واحد من استخداماتها لها معنى يختلف تماما عن المعانى الأخرى؛ ففهرس المكتبة هو أداة التعريف بمقتنياتها، وهو يقدم البيانات التي تكفل تدوين كل وحدة من هذه المقتنيات عما سواها بحيث يتميز

الصحيحية

تقرها مجامع

المخطوطات تكشف تاريخ المعارف

اللغة العربية ولا تجد لها أثرا في الاستخدام، أو حتى في المعاجمة

ويستدرك مؤلف الكتاب ملقيا درسا غاية في الأهمية لكل من تصدى للكتابة، هوأية أو احترافاً، عندماً يقول "ليس من حق أحد أن يسك لفظا للدلالــة على معنى معــين في ذهنه ما لم يكن لهذا اللفظ نفس المعنى عند المتلقين؛ فالإنسان لا يكتب لنفسه، وإنما يكتب للآخرين، ومن ثم ينبغي على كل كاتب ألا بغفل عن قرائه الذين يتوجه إليهم بكتاباته، وأن يضعهم في ذهنه حين يكتب، لأن هؤلاء القراء هــم الذين يحددون مســتوى الكتابة، وإلى أي مدى يمكن للكاتب أن يستخدم ألفاظا متخصصة أو عامة.

> الكتاب يلقى الضوء بأسلوب أدبى راق وتناول علمي محكم على عالم المخطوطات والفهارس وارتباطهما بالتراث

فمقال في صحيفة سيارة تخاطب وتتباين مستويات ثقافة قرائها، ينبغي أن تختلف لغته، ويختلف أسلوبه، عن مقال في الموضوع نفسه بنشير في مجلة متخصصة، لا تقرأها عادة إلا المتخصصون في المجال.

وقديمــا قالوا: خطأ مشــهور خير من فصيح مهجور. ومعنى هذا أن الكاتب ينبغى أن يخاطب قراءه باللغة التـي يفهمونها حتىٰ لـو لم تكن هي اللغة المثلئ، ولا يعنسي ذلك أن يتمرد الكاتب على اللغة وقوالبها ودلالات ألفاظها، وإلا أصبح الخيار بين خطأ مشهور وخطأ مهجور، لا بين خطأ مشهور وفصيح مهجور!

ولأننا نعيش في عصر يوصف بأنه عصر المعلومات، الذي شهد طفرة في تقنيات المعلومات، ووسسائل اتصالّ لم تعرفها البشرية من قبل، فإن هذا، بحسب تعبير الحلوجي "يفرض علينا أن نفيد من التقدم العلمي الهائل والمتسارع في حصر تراثنا الفلسفي المخطوط، وتحديد ما تم تحقيقه منه وما لم يحقق بعد، ورسم خارطة لما نشر منه نشرا علميا، وما لم ينشر، أو

ما يحتاج إلى إعادة تحقيق ونشر. وبذلك نكون وضعنا خارطة تكشيف لناعين مواضع القصور لعلاجها، وأوجه الخلس لتلافيها، بل إننى لأمضى إلى ما هو أبعد من ذلك، فأطالب بضرورة حصر الجهود الجارية في تحقيق النصوص الفلسفية داخُل الجامعات وخارجها تجنبا للوقوع في أي نوع من التكرار لجهود علمية بذلت من قبل، أو تبذل في الوقت الراهن.

الإنسان غير مؤهل ليعيش من دون معتقد

مقاربات فلسفية وأدبية وحتى علمية طالت الدين، بمختلف حمولاته التاريخية والفكرية والأخلاقية وحتى الأدبية والأسطورية والجمالية وصولا إلىٰ أدواره النفسية، في كل عصر يفكك الدين ليعاد فهمه أو صياغته، واليوم في ظل انتشار العنف الديني وتهديده للسلام البشري والمجتمعات الحديثة بات لزاما على المفكرين إعادة تفكيك المنظومة الدينية لتوفير فهم معاصر له يمكننا من ترسيخ ثقافة التسامح.

> السيكولوجي بالمعتقدات؟ هـل مـن مشسروعية لمعيش خال من المعني؟ ما طبيعة العلاقة العلية بسن المعتقد والخلفية المعرفية؟ كيف تحد بعض المعتقدات من فاعلية الإنسان؟ أليس الوعي الأسطوري الحاضنة الأساسية للدغمائيين؟

أليست المعتقدات مرتبطة عضويا بسياقاتها التاريخية؛ كيف تستثمر . بعض المقاربات السياسية ذاك الوعي الوثوقي؟ ألسنا بحاجــة إلــىٰ يقظةً الحس الإشكالي؟ كيف يقطع التفكير النقدى - النير مع المنطق التسليمي؟ تلتك هي أبرز الإشكالات التي دقق

في أصولها وفصولها الكتاب الجماعي الذِّي حَاء بعنوان "الاعتقاد"، والذيّ نشره المجمع التونسى للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة".

بتضمين الكتاب، الصادر باللّغة الفرنسية، وبإشراف الباحثين رياض بن رجب ووحيد السعفي، دراسات لباحثين مختصين ومفكرين تونسيين وأوروبيين قد فككوا العلل النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية للمعتقدات، موضّحين انعكاساتها وبعض إمكانات الخلاص من وثوقياتها ن. المُكتّلة للّنقد والتأسيس.

في مقدمية الكتياب يؤكد كل مــنَّ أســتاذ الطــب النفسي السريري رياض بن رجب، وأستاذ الحضارة العربية – الإسلامية وحيد السعفى علَىٰ أنّ الإنسان من الزاوية الأنثروبولوجية غير مؤهّل لخوض تجربة المعيش في ظل الفراغ، لأنَّه حسب قولَّهما «بحاجــة إلــي الاعتقــاد فــي أنســقة أيديولوجية، فلسفية دينية، تضفي المعنى على

الظواهر الوجودية». وفي رأيهما تمثّل المعتقدات بقطع النظر عن مدى وجاهتها إشباعاً لاحتياجات نفسية تجمع مناهج التحليل النفسى ومخابس المعالجات الإكلينيكية حول نجاعتها، ألم يؤكِّد كارل يونغ مؤسّس علم النفس التحليلي على «أنَّ الإنسان مستعد لإنتاج الوهم من أحل تأثيث الفراغ»؟

ونستخلص ممّا تقدّم العلاقة العليّة الوثيقة بين المعتقدات ووظائفها ذات الصلَّة بقضايا الكيان الإنساني، «فلا وجود لعقيدة إن كانت فردية أو متعالية، بل تتنزل في ، تاريخي محدّد.. فهي اســتجآبة لما هو وجـودي واجتماعي فـي أن» كما يقول المُفكّر عبدالمجيد الشرفي، رئيس مجمع بيت الحكمة، في دراسته حول العقائد، حيث يسلم في هذا السياق بضرورة استيعاب كل المعتقدات ضمن سياقاتها التاريخية، بما تعنيه تلك السياقات من اعتبارات اجتماعية وسياسية وفكرية، لأنَّ المعيش في حدوده الاقتصادية والسياسية والمعرفية محدد لتشكّل الوعي، وهـو ما يعبّر عنـه في المعجم الأنثروبولوجي بمسار التشريط

لذلك يرفض الأستاذ عبدالمجيد الشرفى اجتثاث المعتقد من بيئته ومصادره المعرفية السائدة، مستشهدا

🔻 تونـس - هـل يرتهـن التـوازن بالمقاربـة الخلدونية (ابـن خلدون) في تناولها لتراجع وظيفية اللاهوت ضمن أطر غدت فيها المقولات اللاهوتية «غير

ولا يمكن وفقا لأطروحة الدكتور الشــرفي التحــرّر من وثوقيــة العقائد وهيمنة الفكر الأسطوري في إلا عبر "تعزيس القراءة النقدية -النيسرة"، إذ ينطلق في هذا المجال من «أزمة الفكر الإسسلاميّ» التي تحتّم كما يقول «قراءة نقدية للفكر الإسـالامي ككل»، لكن يمكن برأيه أن يفضى الوعى النقدى إلى القطع مع المعتقدات التي "تحد من فاعلية الإنسان".

قد يجنح الكائن البشري نحو الاعتقاد في قيم ومفاهيم مهددة لفاعليته، لذلكُ لا يدّ من مساعلة إشكالية لقيمنا ومفاهيمنا ومسلماتنا التي نطمئن لوظيفتها النّفسية أساساً، وهدا ما تناوله أستاذ علم النفس بجامعة باريس 4 فرانسوا مارتى، في دراســة حول الاعتقــاد في التحليلُ النفسي منطلقا من مقولة فرويد الشهيرة «نعتقد بسهولة في ما يلبي أوهامنا المرتبطة برغباتنا بقطع النظر

وفي رأيه توفر عديد المعتقدات حلولا علاجية كتأثيث الفراغ، وإضفاء المعنى، وتفسير الظواهير العصبية عين الفهم، وتبرير بعض المحن وغيرها. لنستوعب بتصوره صعوبة القطع النهائي مع أنسقة المعتقدات، منسجما في موقفه مع أطروحة المحلل النفسي والباحث في علم النفس العيادي بالجامعات الفرنسية

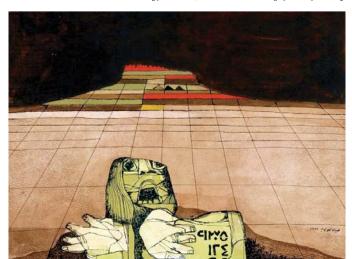
ماري – جون سوراي،

المشــدد في مداخلته حول وظيفة الديني في العالم المعاصر علي نجاعـة الاعتقادات في «تعزيـز تمثل العالم» لما تقدّمه الأديّان من أجوبة وتأويلات وتفسيرات في مجالات متعددة خاصّة ذات الصلّة بالشان الميتافيزيقي، إلى جانب «تيسير ادراك النوات باهياتها» فضيلا عن «تسكين ألام القلق» و"تنظيم الروابط

ندرك ممّا تقدّم سلطة الاعتقاد و نفوذ المسلمات، وإن كانت موغلة في البعد الأسطوري ومهددة لسلطة الذات التى تنشيد السيبادة، ألا يمثّل العنف بأشكاله السائدة اليوم في العالم أبرز الحجج

يجيب على هذا السؤال المفكر والباحث حمادي صمود في دراسته حول قضايا الاعتقاد والعنف والحهاد في الإسلام، مبيّنا مخاطر المسلّمات الساذجة المنتجة بالقوة وبالفعل لثقافة الانتحار بحجّة الجهاد من أجل الدرجة

كما وضّح عنف التعصّب والتطرّف المرتبطين حتما بمعتقدات ومقدسات تقتضى يقظة العقل النقدى. فمن الطبيعي جـدًا أن تكون مضامين كتاب الاعتقاد أنجع السبل لزعزعة الأوهام وأفيون الإرث التسليمي للقطع مع الوعى القطيعي والاغتراب، توقا إلى استعادة إرادة الفعل وفاعلية الذات



الفراغ يهدد البشر (لوحة للفنان ضِياء العزاوي)